مشكلة معنى لغة الدين في مذهب الذرية المنطقية

problem of the meaning of the religious language in logical atomism

عبيد الله زهرة *

بلحنافي الجوهر ♣

تاريخ الإرسال: 25 / 01 / 2021	تاريخ القبول: 26 / 04 / 2021	تاريخ النشر: 20 / 12 / 2021

الملخص:

إن ما يميز الفلسفة التحليلية أنها جعلت الفلسفة منصبة على اللغة وتحليلاتها للتخلص مما يشوب تعبيراتها من لبس وغموض، كما اعتبرت المنطق وفلسفة اللغة قوامها، وانطلاقا من هذا ميز فلاسفتها بين اللغة ووقائع العالم، وعملت الفلسفة الذرية المنطقية (وهي إحدى اتجاهاتها) على إخضاع العالم لممارسة تحليلية أي بتحليل منطقي للغة، للكشف عن المعنى الذي تحمله القضايا اللغوية المعبرة عن حوادث العالم، ذلك أن الوقائع الموجودة في العالم تقابلها قضايا لها معنى، أما القضايا التي ليس لها معنى فهي التي ليس لها وقائع تجريبية مقابلة لها في العالم، وقد أخذ الانشغال بمشكلة معنى العبارات اللغوية امتدادات واسعة حتى وصل إلى العبارات اللغوية الدينية؛ والتي أخذت طابعا ميتافيزيقيا غير مجسدا في العالم الخارجي الذي عمدت الفلسفة التحليلية بصفة عامة والذرية المنطقية بصفة خاصة إلى تحليل وقائعه وهذا بتحليل قضاياه حيث تصبح العبارات الدينية من وجهة نظر الذرية المنطقية نسق ميتا-لغوي.ذلك أن التحليل المنطقي

المؤلف المرسل: عبيدالله زهرةzahra.abidallah@univ-mascara.dz

*كلية العلوم الانسانية الاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي-معسكر مخبرا لانتماء: حوار الحارات،التنوع الثقافي وفلسفة السلم. zahra.abidallah@univ-mascara.dz

♣ djouher.belhanafi@univ-mascara.dz كلية العلوم الانسانية الاجتماعية، جامعة مصطفى اسطنبولي-معسكر

المنارة للاستشارات

الصارم الذي مارسته الفلسفة الذرية المنطقية على اللغة، انتهى إلى التخلي عن هذا النوع من القضايا واعتبارها بلا معنى. لأنها لا تتجلى بالصفة العلمية التجريبية التي يكشف عنها التحليل المنطقي الذي اعتمده هؤلاء.

الكلمات المفتاحية: اللغة الدينية؛ الذرية المنطقية؛ القضايا؛ الوقائع؛ اللغة.

Abstract:

Logical atomic philosophy subjugated the world to practice an analytical exercise in any logical language analysis, revealing the meaning of linguistic issues that are relevant to world accidents because facts in the world are matched by meaningful issues, and the issues that have no meaning are those that have no corresponding empirical facts in the world. Concern about the problem of the meaning of language has taken wide stretches to reach religious language taking metaphysical non- concrete aspect in the outside world,. This aspect has been analyzed by analytical philosophy in general and logical atomic philosophy in particular, and this is done by analyzing its issues, where religious expressions from the point of view of logical atomic theory become the Meta-linguistic format.

Keywords: the religion language ; logical atomic ; cases ; Facts ; language.

*** *** ***

1. مقدمة:

لا يمكن الحديث عن الفلسفة المعاصرة دون الوقوف عند المنعطف اللغوي، والذي شكل محور اهتمام الفلسفة التحليلية، حيث جعلت هذه المدرسة البحث الفلسفي بحث لغوي بامتياز وذلك من خلال تحليل العبارات اللغوية والكشف عن معناها ورفع التباساتها.

ففلسفة اللغة هي المحور الأساسي للفلسفة التحليلية،حيث حاول بعض روادها ربط هذا المحور؛ بمحور فلسفي آخر وهو المنطق، ونشأت عن ذلك عدة توجهات فكرية ذات توجه منطقي لغوي في كان من أهمها مذهب الذرية المنطقية.

عملت الفلسفة الذرية المنطقية على إخضاع العالم لممارسة تحليلية من خلال تحليل منطقي للغة، فالعالم لا يمكن تحليل وقائعه خارج إطار اللغة والكشف عن المعنى الذي تحمله القضايا اللغوية المعبرة عن حوادث العالم. غير أن الانشغال بمشكلة معنى العبارات اللغوية أخذ امتدادات واسعة حيث وصل إلى العبارات اللغوية الدينية؛ والتي أخذت طابعا ميتافيزيقيا غير مجسد في العالم الخارجي الذي تعمدت الفلسفة التحليلية بصفة عامة والذرية المنطقية بصفة خاصة إلى تحليل وقائعه من خلال تحليل قضاياه.

هذا ما مهد لظهور فلسفة الدين التحليلية التي حافظت على المبادئ الأساسية لهذا الاتجاه وهو ممارسة التحليل المنطقي على اللغة، لكن القضايا هنا ليست قضايا واقعية تجريبية، وإنما قضايا تقع فيما وراء العالم، **فإذا خلص التحليل المنطقي الذي مارسته الفلسفة الذرية المنطقية إلى أن معنى اللغة يؤخذ أساسا من معطيات العالم الخارجي ووقائعه، وكان الدين خطاب ميتافيزيقي يقع خارج حدود هذا العالم، فإلى أي مدى استطاعت الفلسفة الذرية المنطقية باعتمادها على التحليل المنطق ضبط حدود معنى اللغة الدينية التي تعبر عن معطيات ما وراء العالم الخارجي؟**

وكمحاولة أولية للإجابة عن هذه الإشكالية المطروحة تأسست لدينا الفرضيات الآتية:

- إن التحليل المنطقي للغة الدينية كشف أن هذه اللغة لا تخرج عن إطار وقائع العالم، باعتبار وقائع العالم التجريبي لها أساس ميتافيزيقي؛ وبالتالي لا يمكن الفصل بين

المنارة للاستشارات

معطيات العالم الخارجي وما وراء هذا العالم. فهناك تطابق منطقي بين قضايا العالم والعبارات اللغوية الدينية، فهذه العبارات تستمد معناها من وقائع العالم.

- إن القضايا الدينية هي قضايا غير قابلة للمعاينة المنطقية، وبالتالي لا يمكن تحديد لا صدقها ولا كذبها؛ فهي تقع خارج نطاق العلم والتجربة العلمية، وما يقع خارج التجربة العلمية لا يمكن الكشف عن حقيقته ولا تحديد معناه، وبالتالي يمكن تصنيف اللغة الدينية في إطار اللامعنى. لأنها بعيدة كل البعد عن التأمل النظري الذي يتشكل من خلاله المعنى.

والهدف من دراسة هذا الموضوع هو توسيع البحث في مجالات الدراسات اللغوية الدينية التي تحاول المزج بين فلسفة اللغة من جهة وفلسفة الدين من جهة الأخرى، وتبيين ذلك الارتباط الوثيق بين مجالات المعرفة المختلفة، والتي استطاعت الفلسفة التوفيق بينها في الكثير من المباحث والمدارس وشكلت فلسفة التحليل اللغوي أرقى أشكال المزج بين اللغة والفلسفة والدين.

وقد تعددت مناهج دراسة هذه الإشكالية، فجاء المنهج التاريخي لسرد تاريخ نشأة مذهب الذرية المنطقية وكيف تكون، والمنهج التحليلي اعتمد لتحليل مختلف المواقف الفلسفية لهذا المذهب إزاء موضوع الوقائع والقضايا وربطها بالمسائل الدينية، أما المنهج النقدي فكان في محاولة منا لتسجيل مختلف الملاحظات النقدية بعد قراءتنا للمشكلة المدروسة.

2. مفهوم لغة الدين:

قبل الكشف عن المعنى الذي يحمله مصطلح لغة الدين لا بد أن نقوم بتفكيكه فينحل إلى مفهومين وهما: مفهوم اللغة من جهة، والدين من جهة أخرى. فما مفهوم اللغة وما مفهوم الدين؟ وهل توجد علاقة تجمع بينهما؟

فاللغة: هي كل وسيلة لتبادل الأفكار والمشاعر كالإشارات والألفاظ وهي ضربان:

طبيعية: كبعض حركات الجسم والأصوات المهملة، **ووضعية** وهي مجموعة الرموز والإشارات والألفاظ متفق عليها لأداء المشاعر، والأفكار[1].

وهي مصطلح يستعمله الناقد واللساني للدلالة على الرموز والتعرف عليها صوتيا ودلاليا داخل المجتمع. وهي تتكون وتتشكل بعيدا عن إرادة الفرد.[2]

إن اللغة هي الوسيلة الأساسية في عملية التواصل التي تحدث بين أفراد المجتمع أما الدنماركي اللغوي لويس هيلملسف فهو يشير إلى اللغة من زاوية بنيوية حيث يقول: إن البحث في اللسانيات العامة، أصبح مؤخرا موضوع اهتمام، حيث تناولت اللغة كبنية تتألف من شكلين : الأول هو المضمون، والثاني هو التعبير"[3].

أي ان للغة شكل خارجي ومضمون داخلي ، أما المضمون: فهو يوحي بالفكرة التي تحضنها اللغة تعبيرا' فالتعبير يمثل ما يمثله الدال باعتباره الشكل الخارجي للوحدة اللغوية في حين أن المضمون يمثل الجانب الباطني والداخلي للغة، أي ما يحتويه التعبير ويتضمنه هو ما يقابله مفهوم المدلول في الدراسات اللسانية المعاصرة.

الدين: لطالما كان الدين من بين المفاهيم الأساسية التي ارتبطت بشكل وثيق بالوجود الإنساني وبكيانه؛ فقد عرف منذ القديم وارتبط بحياة الإنسان منذ وجوده في الأرض، بل وقد ساهم الدين بشكل من الأشكال في التغيرات التي شهدتها حياة الإنسان، وأثر في شخصيته وساهم في رسم حاضره ومستقبله.

نجد الفرنسي لالاند يقدم لنا تعريفات اصطلاحية للدين حيث يعرفه أولا: " بأنه مؤسسة اجتماعية متميزة بوجود إيلاف من الأفراد المتحدين: بأداء بعض العبادات المنتظمة وباعتماد بعض الصيغ؛ بالاعتقاد في قيمة مطلقة: لا يمكن وضع شيء آخر في كفة ميزانها، وهو اعتقاد تهدف الجماعة إلى حفظه؛ ينتسيب الفرد إلى قوة روحية أرفع من الإنسان، وهذه ينظر إليها إما كقوة منتشرة، وإما وحيدة، وإما كثيرة وهي الله. وثانيا: بأنه نسق فردي لمشاعر واعتقادات وأفعال مألوفة؛ موضوعها الله".[3]

إن هذين التعريفين الذين قدمهما لالاند يحملان فكرتين مختلفتين، فالفكرة الأولى تقدم لنا الدين على أنه ظاهرة اجتماعية تربط أفراد المجتمع في ممارستهم الدينية والاعتقاد المشترك عند جميع هؤلاء الأفراد، والنظر إلى المقدس كمطلق لا بد من حفظه والانصياع له والإيمان به.

وفي نفس المعني فان الدين " يحمل جانبا مزدوجا: فهو ذلك التفاني الذي يربط بين الإنسان واللاهوت، وممارسة للطقوس ذات الطابع المؤسساتي"[4]. فالإيمان باللاهوت والإخلاص له لن يكون إلا بممارسة الطقوس الدينية في إطار مؤسساتي وفق العقيدة التي

المنارة للاستشارات

يؤمن بها كل فرد أو مجتمع معين. فهو الربط الواجب بين الإيمان بالله و ممارسة العبادات التي تقرر هذا الإيمان والتفاني.

بعد استعراض المفهومين يتوضح لنا جليا التقاء كل من اللغة والدين في قالب اجتماعي واحد، فاللغة هي همزة وصل بين أفراد المجتمع، والدين أيضا يعتبر مقوم أساسي من مقومات المجتمع ويمتن التماسك بين أفراده، ويبقى كل منهما حاملين أساسين للهوية الثقافية .

ومن جهة أخرى لا يمكن أن يقوم دين بدون لغة لتتأسس لنا لغة الدين أو لغة خاصة بالخطاب الديني، " فلغة الدين بالمعنى الواسع للكلمة هي جميع المكونات اللغوية المستخدمة في الايديولوجيا النظرية والممارسة الدينية ".[5]

إن مصطلح لغة الدين يطرح لنا مشكلة إن كان المقصود منها لغة دينية خاصة فقط بالدين أم استخدام ديني للغة وتكييف اللغة وفق ظرف ديني خاص. لكن الدين يظهر لنا على شكل خطاب ولا يمكن له ان يظهر خارج هذا الاطار، " فالدين هو خطاب للعقل الفردي فحسب بناءا على قواعد الفطرة والتحليل المنطقي، بل هو خطاب ادعت جماعة من الناس أنها تحمله من الله الى البشر. الاديان، من جهة مصدرها خطاب بين الله أو الحقيقة المطلقة من ناحية والبشر من ناحية أخرى"[6].

فالدين لا يخرج عن كونه خطاب موجه من المقدس إلى البشر، فاللغة الدينية تشمل جميع العبارات اللغوية للنصوص الدينية والتي تأخذ طابعا ميتافيزيقيا لانها تشير الى وجود ميتافيزيقي.

وإذا كانت اللغة هي أداة تواصل بين أفراد المجتمع فلغة الدين هي واسطة بين المقدس والبشر من جهة، و مكون أساسي للممارسات الدينية من جهة أخرى. وبالتالي يمكن القول أن المفهوم يشير إلى لغة دينية في إطار النصوص الدينية والخطابات الدينية، واستخدام ديني للغة باعتبار اللغة هنا ليست لغة خاصة وإنما الدين يشكل ظرف خاص تستخدم فيه اللغة ووظيفة تخدم من خلالها اللغة الدين.

3. مذهب الذرية المنطقية:

ان الذرية المنطقية كمشروع فلسفي منطقي عمل عليه كل من الانجليزي برتراند راسل Bertrend Ressul (1872-1970) والنمساوي لودفيغ فتجنشتين (1889-1952)،

وتم التصريح عنه في أعمالهما، فأعلن عنه هذا المذهب راسل في محاضراته حول الفلسفة الذرية المنطقية، أما فتجنشتين فتضمنت رسالته الفلسفية المنطقية مبادئ هذا المذهب الذري.

وقد تناول هذا المشروع وقائع العالم وربطها بالمنهج التحليلي الذي اعتبره كل الفلاسفة التحليليون منهج مثمرا للخوض في مختلف المسائل الفلسفية.

ولا بد ان تسمية هذا المذهب بالذرية المنطقية بعيد كل البعد عن الطرح الفيزيائي، فهو يتناول الذرات النطقية وليست ذرات فيزيائية ولا بد ان هؤلاء استعارو فقط مفهوم الذرة للاشارة الى تصور جديد في الفلسفة عموما والمنطق بوجه خاص.

" الذرية المنطقية مفهوم صاغه راسل ويعني به أن العالم بأجمعه عبارة عن وقائع ذرية، وفلسفة الذرية المنطقية كما يراها راسل هي التعددية في صورة متطرفة، لانها تؤكد على وجود كثرة من الأشياء الفردية تنكر عليها اي وحدة أو تكامل".[7]

فراسل صور العالم على أنه يخضع لمبدأ التعدد، متجاوزا بذلك مبدأ المطلقية التي نادت به بعد الفلسفات المثالية مثل فلسفة هيغل والمثالية المطلقة عند برادلي والذي قر بأن الحقيقة هي كل منتظم، في حين يقر راسل ان العالم يتكون من ذرات وأجزاء مستقلة عن بعضها البعض وانما تربط بينها علاقات منطقية خالصة.

فالذرات المنطقية هي ذرات نتجت عن تحليل وقائع العالم الى أبسط أجزائها، هذا التحليل ينتهي الى " وقائع ذرية"، " حيث يقر راسل بأن السبب الذي جعله يسمي هذه النظرية بالذرية المنطقية هو أن هذه الذرات التي يريد أن يتوصل اليها من حيث هي الخلاصة النهائية للتحليل هي ذرات منطقية وليست فيزيائية فهناك الكثير من العبارات التي تبدو واضحة وهي في حقيقة الأمر مبهمة لذلك يتوجب تحليلها إلى عناصرها الأولية لتتشكل لنا وقائع ذرية[8]".

فالوقائع الذرية هي تصور للوقائع في أبسط صورها فهي بهذا المعنى تشكل العالم في مجموعة من الوقائع البسيطة، وعلى أنه كثرة لكن هذه الكثرة ليست مادية، ولا روحية بل هي ذات طبيعة منطقية.

والواقعة الذرية كما يتصورها فتجنشتين هي أبسط الوقائع التي ينحل اليها العالم ويصل اليها التحليل، " ووضعها على النحو التالي: كل بيان من معقدات يمكن تحليله ألى

المنارة للاستشارات

بيان عن أجزائها المكونة لها والى تلك المقدمات التي تصف تماما المعقدات[9]". وهنا يظهر البعد المنطقي في تحليل الوقائع حيت ينطلق من أشياء معقدة وهي ما يقابلها في المنطق االمقدمات التي تأخذ طابعا كليا معقدا ، وصولا إلى نتائج تترتب عنها وقائع بسيطة، أي الانتقال من كل مركب إلى جزء بسيط.

ولكن هل فعلا الواقعة الذرية هي أبسط شيء في العالم؟ الإجابة لان هناك الأشياء وهي أبسط من الوقائع، " وفي هذا اختلف راسل مع فتجنشتين؛ لأنه رأى بأن الأشياء التي تشكل جوهر العالم تتحد معا لتكون الواقعة الذرية، ومن هنا تصبح الواقعة الذرية معبرة عن تشكل هذه الأشياء مع بعضها البعض[10]." ففتجنشتين يرى بأن الاشياء المكون للوقائع الذريية هي أبسط منها وأبسط ما في العالم وليست الواقعة الذرية، فالعلاقة التي تربط بين مجموعة من الاشياء هي التي تكون الواقعة الذرية، وتظهر هذه الأخيرة على أنها بنية تشكلها مجموعة من الأشياء في صورة معينة. أما راسل فيصل في تحليل العالم إلى أربعة مكونات وهي الجزيئات والصفات، و العلاقات والوقائع ، وأبسط الوقائع هي الوقائع الذرية.

"ان التحليل في الذرية المنطقية يستند إلى نظرة ميتافيزيقية الى العالم، إذ يرى فتجنشتين أن العالم يتألف من وقائع تقبل التحليل الى أبسط وقائع بسيطة، حيث تكون صورها المنطقية للوقائع المقابلة لها"[11].

فالتحليل في الذرية المنطقية ما هو الا تبيين للعلاقة المشتركة بين الواقعة البسيطة والقضية البسيطة وللتي تتجلى في صورة منطقية، فكل واقعة تقابلها قضية ، من هنا نتساءل عن طبيعة الوقائع والقضايا؟ وما علاقة اللغة بهذه الصور بالوقائع والقضايا؟

04-لامعقولية اللغة الدينية في الفسفة الذرية المنطقية::

قبل الحديث عن مشكلة اللغة الدينية في الفلسفة الذرية المنطقية، لا بد الوقوف عند إشكالية العلاقة بين الواقائع والقضايا، ومكانة اللغة في هذا المذهب، فلقد تناولت الذرية المنطقية عدة جوانب من بينها الجانب اللغوي وشكل الموضوع الأساسي لها، فلم تخرج الذرية عن الإطار العام للفلسفة التحليلية في الانشغال بالبحث اللغوي، فتناولت الصور المنطقية للوقائع وعلاقتها بالقضايا من جهة، وبالتحليل المنطقي للغة من جهة أخرى.

"فالذرية المنطقية تعني فهما محددا للعلاقة بين العالم واللغة والتفكير. وتبدوا هذه العلاقة على أنها تشاكل بنيوي-منطقي. فالعالم والتفكير واللغة يمتلكون تركيبا أو بنية منطقية واحدة، ما يجعل وظيفة اللغة التعبيرية، التصويرية ممكنة"[12]

إن الوقائع مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعالم حيث تصف ما يحث في العالم الخارجي، وهذه الوقائع يجب أن توضع تحت التحليلي حسب الفلسفة الذرية وتصل في نهاية التحليل إلى وقائع ذرية، فوقائع العالم تنقسم إلى وقائع ذرية وكل واقعة ذرية أساسها مجموعة من الأشياء في نظر فتجنشتين وهذه الأشياء تتميز بصفة الثبات مما يجعلها جوهر العالم، أما راسل فلا يتحدث عن الأشياء وإنما عن الجزيئات، التي تختلف طبيعتها عن طبيعة الأشياء.

"يذهب فتجنشتين لتحليل اللغة إلى أبسط وحداتها، فكما أن العالم حينما يوضع تحت مجهر التحليل المنطقي، ينقسم إلى وقائع، وكل واقعة من الوقائع تتكون من وقائع ذرية أخرى، فان اللغة كذلك تنقسم إلى قضايا، وكل قضية من هذه القضايا، إنما تنحل بالضرورة إلى ما هو أبسط منها وهو القضية الأولية التي قوامها الأسماء"[13].

فإذا كان العالم ينحل إلى أبسط واقعة وهي الواقعة الذرية، كذلك اللغة تنحل إلى أبسط قضاياها وهي القضية الأولية، والواقعة هي الأحداث الواقعة في العالم وتتشكل من أشياء مادية، أما القضية فهي تعبير لغوي عن هذه الوقائع وتتكون من مجموعة أسماء، فالقضية الأولية هي أبسط وحدات اللغة، والوقائع متنوعة فمنها المركبة والبسيطة وبالتالي تقابلها القضايا المركبة والبسيطة بهذا الترتيب.

فراسل يقسم الوقائع إلى وقائع جزئية ووقائع عامة يمكن من خلالها وصف العالم، غير أن الوقائع الجزئية لا يمكنها أن تصف العالم وصفا دقيقا، حتى ولو ذكرنا جميع الوقائع الجزئية الواصفة لواقعة معينة دون ذكر الوقائع العامة، حيث ذكر راسل محاضراته حول مذهب الذرية المنطقية ما يلي: " ومن ثم فيجب ألا تأمل في وصف العالم بدون الاستعانة بالوقائع العامة تماما مثل الوقائع الجزئية"[14].

فهنا يظهر تصنيف راسل للوقائع إلى صنفين، وقائع جزئية بسيطة وأخرى عامة مركبة، ويمكن التعبيلر عن الواقعة سواء كانت جزئية أو مركبة بعبارة لغوية أي بجملة، فلا يمكن التعبير عن واقعة بمفردة.

المنارة للاستشارات

فالجملة كاملة هي الواقعة، أما الأشياء المفردة المتضمنة في هذه الجملة لا يمكن أن تكون واقعة، فالواقعة يجب أن يكون متضمنة في جملة، والجملة على العموم ستتضمن شيء وخاصية أو علاقة، فالشيء الذي يعبر عنه بمفر أو خاصية أو علاقة منفصلين لا يعبرون عن واقعة.

" وذلك لأن الاسم المفرد لا يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب، في حين أن العبارة اللغوية التي تعبر عن قضية معينة يجب أن تحمل الصدق أو الكذب، مثلا عندما نقول " سقراط ميت"، سقراط حي"، كلاهما عبارتان إحداهما صادقة والأخرى كاذبة، فسقراط ذاته، أو أي شيء كجزء من العبارة بذاته لا يجعل أي قضية صادقة أو كاذبة، ويمكن التمييز أيضا بين الوقائع الموجبة والوقائع السالبة، وهي مختلفة عن التمييز السابق للوقائع الكاذبة والصادقة، مثل "سقراط كان حيا" واقعة موجبة، و" سقراط ليس حيا" واقعة سالبة ".[15]

فالحكم على القضية عند راسل يكون من ناحية الصدق أو الكذب حسب مطابقتها للحقيقة التجريبية، فاذا القضية واقعة فعلا وتعبر عن حقيقة موجودة فهي صادقة، وان كانت غير ذلك فهي كاذبة، فاذا كانت القضية صادقة تكون نقيضتها كاذبة بالضرورة والعكس صحيح، أما التقسيم الثاني فأقامه على أساس الكيفيات، فاذا كان كيف القضية موجب تصبح القضية موجبة، وإذا كان الكيف سالبا تكون القضية سالبة.

" ويختلف تفسير فتجنشتين عن تفسير راسل للوقائع السالبة والموجبة، فبالنسبة لفتجنشتين يصنف الواقعة الذرية إما إلى موجبة، أو سالبة، ذلك لان الوجود الخارجي وجود وعدم، فوجود الواقعة الذرية يجعلها واقعة موجبة، وعدم وجودها يجعلها واقعة سالبة16".

بعد استعراض التقسيم الذي أقامه كل من راسل وفتجنشتين للوقائع والقضايا، تبين لنا ذلك الارتباط الوثيق بين العالم واللغة والمعنى، فتظهر لنا مشكلة المعنى كموضوع أساسي في الفلسفة الذرية المنطقية.

إن اللغة الحاملة للمعنى هي التي تعبر عن العالم، وتعكس صورتها المنطقية بنية الحوادث، فكل حادثة في العالم يمكن التعبير عنها بقضية ناتجة عن ترابط قضايا ذرية، فامتزاج القضايا الذرية تعبر عن معلومة أو حادثة حول العالم تبرهن عليها المعاينة

التجريبي، أين التأكد من حقيقتها يستدعي ملاحظة تجريبية، " فالدراسة التجريبية تعطيك مثلا لشيء له صورة منطقية معينة، وحقا فاننا لا نستطيع التأكد بأن هناك أشياء لها صورة منطقيةى فيما عادا ايجاد مثل، في حد ذاته تجريبي. وبهذه الطريقة فان الوقائع التجريبية متصلة بالمنطق في نقاط محددة17". لكن ماذا عن القضايا التي تقع خارج الدراسة التجريبية و خارج العالم الخارجي؟ وماذا عن العبارات الدينية والميتافيزيقية؟

إن مشكلة معنى لغة الدين كانت محور اهتمام فلاسفة التحليل في بحثهم الديني. حيث حاول هؤلاء البحث عن موضع تعقل العبارات اللغوية بصفة عامة والعبارات الغوية الدينية بصفة خاصة، باعتبار الانشغال الديني هو انشغال لغوي بالدرجة الأولى ويجب تحليل قضاياه ومعناها.

" وفي عملية تحليل معنى القضايا الدينية على وجه التحديد، وفي المقام الأول تلك التي تعبر عن العقيدة تنظم فلسفة الدين التحليلية إلى البحث الفلسفي الابستمولوجي للعقائد الدينية18". أي أن هناك توازي وتلازم بين إبستمولوجيا الاعتقادات الدينية وفلسفة الدين التحليلية لانها أخذت طبيعة ناقدة للدين والعبارات الدينية أكثر منه مدافعة، ونفس الشيء ينطبق على الذرية المنطقية في تناولها للقضايا الدينية.

"ثمة أسباب كافية للقول بأن النظرية الذرية المنطقية تعد بالفعل نظرية في معنى لغة الدين، حيث تناولت نفي إمكانية التعبير اللغوي عن أي حقيقة موضوعية خارج العالم، فلغة الدين كلغة مناسبة مع هذه الحقيقة، لا يمكن النظر إليها كوسيلة للتعبير اللغوي، وهذا ما احتصره فتجنشتين في قوله أن الله لا يظهر نفسه في العالم.19

فالذرية المنطقية التي ترى بأن العالم يمكن التعبير عن وقائعه في شكل عبارات لغوية، ولا بد لهذه الوقائع أن تكون حاصلة في العالم و غير خارجة عنه. فجميع الوقائع بما في ذلك الوقائع الذرية التي تشكل أبسط وقائع العالم يمكن التعبير عنها في لغة لها معنى، في حين أن ما يتضمنه الدين من لغة و مواضيع و وقائع غير متحققة في العالم و تقع خارجه، ما يجعل هذه اللغة بدون معنى فهي لا تقع في أي جزء من وقائع العالم حتى تلك الوقائع الذرية لا يمكنها احتواء الحقيقة الدينية كالله مثلا و هذا ما يثبت لامعقولية اللغة الدينية برؤية ذرية منطقية.

المنارة للاستشارات

"تبدو لنا معالم المرحلة الذرية بوضوح في فكرة فتجنشتين من نقد اللغة، فالقضية المركزية التي أقيمت حولها أبحاث الرسالة المنطقية تتمثل في نقد اللغة كوظيفة مشروعة للفلسفة. فإذا كان الفكر يتمثل في كونه القضية ذات معنى و بالتالي تصبح اللغة في حد ذاتها، مجموعة من قضايا ذات معنى، والفكر يعبر بالضرورة عن إذا كان الوجود بالنسبة لأمور الواقع التي تكون موضوعا لتفكيره، فيما يمكن التفكير فيه وهو كذلك ممكن الوجود"20.

يرفض راسل من الزاوية المنطقية أفكار كل من ويليام جيمس و جون ديوي حول موضوع الاعتقاد حيث أن تناولهم لموضوع الاعتقاد يختلف تماما عن نظرة راسل للموضوع. وكيف يتناول موضوع الاعتقاد حيث يقول في محاضراته حول الذرية المنطقية: "إنهم يظنون بأن حينك تعتقد في الله أو هومر؛ فإنك تعتقد في شيء.... و التقريب الفج الأولى الذي يقترحونه هو أنك تؤمن بصدق عند وجود مثل هذا الشيء. و إنك تعتقد كذبا في حالة عدم وجوده...، فموضوع المعتقد عندهم أشياء مفردة قد توجد أو لا توجد و هذا الرأي خطأ مطلق و جذري، لأنك إذا ما اعتقدت بأن شيئا موجود وهو غير موجود، فالشيء غير الموجود هو لاشيء و لن يكون تحليلا صحيحا للاعتقاد الكاذب لتعتبره كعلاقة لما هو فعلا لاشيء."21 فمثلا إذا قلت إنني أعتقد أن الله ... ولا يوجد هناك هذا الموضوع "الله" في العالم الحسي، فهذا الموضوع إذا ليس له وجود، في حين أن كل واقعة في العالم يجب أن تكون لمكوناتها وجود وإلا لن يكون التحليل صحيحا.

أن صدق القضية أو كذبها، انما يرجع مباشرة الى وجود الواقعة أو عدم وجودها. ولما كانت القضايا الميتافيزيقية غير موجودة في العالم الحسي فهي قضايا لا يمكن التحقق منها. زمن هذه الفكرة التي أشار اليها كل من راسل وفتجنشتين في مذهب الذرية المنطقية طهرت بوادر مبدأ التحقق الذي اعتمدته الوضعية المنطقية فيما بعد، والتي سبق لفتجنشتين أن أعلن قبول هذا المبدأ.

"ويعرف كارناب هذا المبدأ بأن أي معنى لعبارة أو قضية يؤخذ من تحقيقها. وكل عبارة لا تقول الا ما هو قابل للتحقيق. وهذا لان العبارة يجب أن تتضمن ما هو قابل للتأكيد في الواقع التجريبي، وكل شيء يقع وراء التجربة لا يمكن التعبير عنه، ولا التفكير فيه.."22.

" فالقضايا الميتافيزيقية في الفلسفة الذرية المنطقية هي قضايا لا معنى لها، فهي لا صادقة ولا كاذبة؛ بل لغو، وذلك لعدم إمكانية البحث عن صدقها، ومعاينتها المنطقية، فهي خارج نطاق العلم والتجربة العلمية، وأي أحد يمكن أن يقول شيء عن الميتافيزيقا سيخفق في إعطاء أي معنى لعلامات معينة في قضاياه23".

فلغة العلامات هي لغة تحاول أن تصور العالم تصويرا له معنى دقيق، وتصبح العبارات اللغوية من هذا المنظور كلها ذات معنى، فتحمل كل مجموعة منطقية من العلامات، مجموعة منطقية من المعاني تصدق عليها، وهذا يبدوا واضحا في نظرية التصوير عند فتجنشتين التي أشار اليها في الرسالة المنطقية الفلسفية، وفي مشروع راسل في تأسيس لغة كاملة منطقيا ، ففي نظرية التصوير جعل فتجنشتين وظيفة اللغة تنحصر في تصوير وقائع العالم، وبالتالي لا يمكن تصوير الميتافيزيقا لأنها تقع خارج العالم التجريبي و أي محاولة للتعبير عنها ستكون فاشلة.

04-ملاحظات نقدية:

بعد استعراض بعض أفكار الذرية المنطقية حول مشكلة المعنى في ما يخص العبارات اللغوية الدينية خلصنا الى مجموعة من الملاحظات النقدية والتي جاءت كالأتي:

إن لامعقولية اللغة الدينية عند مذهب الذرية المنطقية لا يعني بالضرورة النفي المبدئي لوجود حقيقة دينية. فالذرية المنطقية كما هي مطروحة في تصور الرسالة المنطقية الفلسفية، تعترف بما هو صوفي و تعترف بإمكانية العبادة الصامتة للإله، فمحاولة القول بأن اللغة الدينية لا معنى لها يتنافى تماما مع التوجه الصوفي الذي لازمه فتجنشتين المتأخر مما يثبت لامعقولية نفي معقولية لغة الدين.

إن الذرية المنطقية من خلال تحليلها للعبارات اللغوية المعبرة عن وقائع العالم، قامت بإبعاد الوقائع الموجودة خارج العالم و التي يمثل الدين جزء منها باعتبارها قضايا ميتافيزيقية لا معنى لها، هو في حقيقة الأمر تصور ميتافيزيقي "فالفكرة التي تقر بأن العالم في تصورنا له مكون من وقائع بسيطة مستقلة و منفصلة عن بعضها البعض هي فكرة ميتافيزيقية في الأساس"24.

فوجود وقائع ذرية كما تصوره كل من راسل و فتجنشتين يعبر عن قضايا أولية تحتاج هي الأخرى إلى تأكيدات تجريبية باعتبارها تفسير ميتافيزيقي، "فالتحليل في الذرية

المنارة للاستشارات

المنطقية يستند إلى نظرة ميتافيزيقية إلى العالم، إذ يرى فتجنشتين أن العالم يتألف من وقائع تقبل التحليل إلى وقائع بسيطة، تكون صورها المنطقية دليلا جيدا لفهم الصور المنطقية للوقائع المقابلة لها."25

إن اللغة كي تؤدي أداءا منطقيا سليما وفقا للنظرية الذرية المنطقية يجب ان تكون قد تبلورت في أشكال أو بنية موحدة تتفق مع أشكال و أبنية الواقع الحقيقي." فهذا الشرط وحده يمكن التحقق من توافره أو عدم توافره و لكن لا يمكن تحديده في عبارات لغوية. وهذا ما جاء في المبدأ العام للبحث المنطقي الفلسفي والذي يقول: لا يمكن أن نعبر عما يمكننا أن نشير إليه، و قد تعرض هذا المبدأ لهجوم شديد على أساس عدم إمكان مقارنة القضايا المنطقية بما يجري في الحقيقة".26

فمبدأ التحقيق الذي كان قد أشار إليه فتجنشتين والذي انتهى من خلاله الى أنه يجب استبعاد الميتافيزيقا لانها تفتقر الى السمة العلمية التجريبية وبعيده عن إمكانية التحقق في الواقع التجريبي، غير انه في حقيقة الأمر لا يوجد انفصال بين الميتافيزيقا والعلم، " فالتفسير الميتافيزيقي ما هو الا توسيع للتفسير العلمي، أما المنهج الميتافيزيقي، فهو من حيث المبدأ، تطوير وامتداد للمنهج العلمي. ويمكن القول أن العلم يختص بأحد مجالات الميتافيزيقا المختلفة. وتهدف الميتافيزيقا ألى وضع نظام مفاهيمي شامل تصبح على ضوئه التجربة ككل مفهومة ومنتظمة".27

فالميتافيزيقا في حقيقتها تمثل نظرة كلية وشاملة لوقائع العالم وتحاول البحث في أصل الوقائع التجريبي وليست بحث خارج العالم الواقعي كما أشار إلى ذلك كل من راسل وفتجنشتين.

"هناك عبارات ميتافيزيقية لها الشكل المنطقي للعبارات الوجودية المحظة؛ مثل العبارات الدينية التي تقر بوجود الخالق، وعلى الرغم من أنها لم تتحقق أبدا لكنها مبدئيا قابلة للتحقيق، فالعبارات الميتافيزيقية لا يخلو منها حدث أو مجال، وإقصاؤها يتطلب استقراء هذا الكون اللانهائي"28. فمن المنظور الاستقرائي فان الحكم على العبارات اللغوية الديني بأنها بدون معنى ولا معقولة هو اعتقاد خاطئ.

05-خاتمة:

إن ممارسة التحليل على اللغة لا يخرج عن كونه نظرية في معنى العبارات اللغوية. هذا المبدأ العام نتج عنه تيار فلسفة الدين التحليلية و التي تُعنى بقضايا معينة و هي التي تعبر عن اللغة الدينية.

وقد شكلت هذه اللغة منعطفا عاما في التيار التحليلي، فالهدف الأساسي لفلسفة الدين التحليلية هي بحث عن المعنى الذي يكتنف النصوص الدينية والقضايا الميتافيزيقية وما تحمله من مواضيع مفارقة للعالم.

إن الذرية المنطقية تَصور العالم في مجموعة لامتناهية من الوقائع الذرية، التي تعبر عن حوادث هذا العالم في أبسط صورها، فالواقعة الذرية تقابلها بالضرورة قضية ذرية هي الأخرى نصل إليها في نهاية التحليل، فهو كشف عما هو مشترك بينهما في صورة منطقية؛ أي أن هناك رابط منطقي بين الواقعة والقضية، بين ما يحدث في العالم الخارجي وما تعبر عنه اللغة. هذا ما اختصره راسل في نظريته "الأوصاف" وفيتجنشتين في "النظرية التصويرية"، فاللغة ماهي إلا وصف لأحداث العالم التجريبي، و رسم للوجود الخارجي.

فالمعنى يُؤخذ من العالم الخارجي، واللغة التي تحمل معنى هي تلك اللغة التي تتكون من مواضيع يمكن تأملها تجريبيا، أما اللغة الدينية والتي تحمل مواضيع تقع خارج حدود التجربة فهي لغة تقع أيضا خارج حدود المعنى.

فالخطاب الديني بهذا المفهوم هو خطاب ميتا-لغوي، ولغة لامعقولة لأن مواضيعها لا تُظهر نفسها في العالم. فلا يمكن أن تكون وسيلة للتعبير عن معنى ما، ولا يمكن أن تقيم بنية منطقية مع الفكر والعالم.

غير أن هذا التصور لمشكلة معنى لغة الدين عند الذرية المنطقية لم يسلم من الرؤية الإبستمولوجية التي كانت نتيجة تناقضات حملتها مبادئ هذه النظرية، التي أرادت استئصال الميتافيزيقا، لكنها لم تنجو من شباكها باعتبار أنها شكلت هي ذاتها تصور ميتافيزيقي، وأعلن روادها صراحة بأن المنهج التحليلي انتهجه هؤلاء يعجز عن حل الكثير من المشكلات خاصة ما يتعلق بالأمور الدينية وهذا ما أشار إليه راسل أما فتجنشتين فقد انتهى به الأمر إلى التصوف و المثالية حيث جعل من المطلق هو أساس المعرفة؛ بل هو الموضوع الوحيد لها، ولعل هذا التوجه لفتجنشين المتأخر هو تصريح بعدم نجاعة مذهب

المنارة للاستشارات

الذرية المنطقية في تحليل العبارات الدينية، وهو تجاوز للمنطقية الصارمة التي تدعو إلى استئصال و استبعاد جميع الوقائع و الأحداث التي تجري خارج العالم.

04-الهوامش

1 - مذكور إبراهيم، المعجم الفلسفي،الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، د(ط)،القاهرة-مصر، 1983، ص 162.

2 -حجازي سمير سعيد، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر،دار الأفاق العربية، ط1، القاهرة-مصر، 2001،ص 77.

3 –Louis Hjelmslev ,Essais linguistique collection arguments,les editions de minuit,paris ,1971,p 91.

3لالاند،أندري، مرجع سابق، ص 1204.

4 Baly,Michel, dictionnaire des concepts philosophique, Larousse_CNRS édition, 1er édition,paris. 2006, p712

5 كميليف يوري أناتوليفتش،فلسفة الدين الغربية المعاصرة، سلسلة كتاب النشر الالكتروني،د.ط، 1989، ص37

6 صعب أديب، دراسات نقدية في فلسفة الدين، دار النهار للنشر، ط1، بيروت، 2005،ص 55.

7 سلحب عبدالله عبد السلام، الذرية المنطقية برتراند راسل، لودفيع فتجنشتين، مجلة جامعة سبها(العلوم الانسانية)، المجلد السادس، العدد الثاني،2007، ص62.

8 بلبولة مصطفى، برتراند راسل واللغة الكاملة منطقيا، مجلة الأبعاد، عدد خاص، جانفي2014، ص68.

9 راسل برتراند، ما وراء المعنى والحقيقة، تر: محمد قدرى عمارة، المشروع القومي للترجمة، ط1،القاهرة،2005 ، ص252.

10 سلحب عبدالله عبد السلام، مرجع سابق، ص67

11 جمال حمودة، فلسفة اللغة عند لودفيغ فتجنشتين، منشورات الاختلاف، دط، الجزائر، ص 118.

12 كميليف يوري أناتوليفتش، فلسفة الدين الغربية المعاصرة، ص 38.

13 محمد على ماهر عبد القادر، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،دط، بيروت،1985، ص254

14 المرجع نفسه ص164.

15 المرجع نفسه ص163.

16 محمد علي ماهر عبد القادر، فلسفة التحليل المعاصر،دار النهضة العربية للنشر، دط، بيروت، 1985 ص247.

17 المرجع نفسه،ص211

18 كميليف يوري أناتوليفتش، فلسفة الدين الغربية المعاصرة، ص38.

19 المرجع نفسه، ص 42

20 محمد علي ماهر عبد القادر، فلسفة التحليل المعاصر، ص91.

21 المرجع نفسه،ص 212

22 . Carnep. Le depassemant de la metaphisyque et la proposition analytique. P : 173

23 السمهوري مها أحمد، اللغة والمعنى عند فتجنشتين، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 9، العدد الثالث، 2001، ص 362.

24 بشير خليفي، الفلسفة و قضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010، ص174.

25 حمودة جمال، فلسفة اللغة عند لودفيغ فتجنشتين، ص118.

26 الديدي عبد الفتاح، الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الهيئة المصرية لطباعة الكتاب، ط2، القاهرة، ص261.

27 علي حسين، الأسس الميتافيزيقية للعلم، دار قباء للطباعة والنشروالتوزيع،دط، القاهرة، 2003، ص 109.

المنارة للاستشارات

28 العلمي عبد الواحد، هل ابستيمولوجيا الاعتقادات الدينية ممكنة ؟ قراءة في فلسفة الدين التحليلية، ورقة عمل في ندوة فلسفة الدين: قراءات في النظرية والإشكال، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، 25و 26أكتوبر، 2016،ص09.

*** *** ***